سلسلة الأئمة المصورة (3)

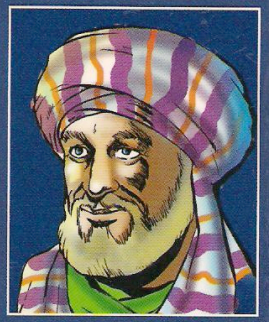

# الإمام مالك

السيرة المصورة

الإبداع الفكري

marthad.wordpress.com مدونة مرثد

السيرة المصورة لإمام دار الهجرة..
رمز العلم والعزة والرقي

د. طارق السويدان

مدونة مرثد marthad.wordpress.com

الإمام مالك هو الإمام المشهور، أكمل العقلاء، وأعقل الفضلاء في زمانه، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عمرو بن الحارث.. ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان الأصبحي..

## مولد الإمام

ولد في عام 93 للهجرة، في مدينة النبي ﷺ: المدينة المنورة..
وكان قد عُرف بالعلم منذ نعومة أظفاره، وليس هذا بشيء غريب عليه، فهذه الأسرة التي هو منها أسرة علم، فأبوه وأعمامه وجده كلهم من أصحاب العلم وأرباب الفضل، ولهم مع هذا العلم حديث طويل..

مدونة مرثد marthad.wordpress.com

## الأب يستفزّ ابنه لطلب العلم

يقول الإمام مالك: كان لي أخ في سن ابن شهاب الزهري، فألقى علينا أبي مسألة فأصاب أخي وأخطأتُ، فقال لي أبي: ألهتك الحمام عن طلب العلم (حيث كان صغيراً ويلعب بالحمام)..

يقول الإمام مالك: فغضبتُ لما قال لي أبي هذه الكلمة، وانقطعت (أي تفرغت لطلب العلم) عند ابن هرمز سبع سنين..

وكانت هذه من البدايات العلمية للإمام مالك..

وهكذا نرى أن جدّية الأب في طلب العلم انعكست على ابنه، فأخرجت للأمة هذا الإمام العظيم..

والد الإمام مالك: أنس بن مالك

## الأعمام

أما أعمامه فثلاثة من أهل الفضل هم: أويس ونافع والرُّبَيِّع، فإذا أضفت إليهم أنس والد الإمام مالك، فهؤلاء الأربعة كانوا يروون حديث رسول الله ﷺ عن والدهم مالك جدّ الإمام مالك، وأشهرهم أبو سهيل نافع الذي كان يُعَدُّ من شيوخ الزهري، رغم أن فارق السن بينه وبين الزهري قليل، بل كانت وفاته بعد الزهري..

أعمام مالك: أويس ونافع والرُّبيِّع، وكلهم من أهل العلم ومن رواة الأحاديث النبوية الشريفة..

marthad.wordpress.com مدونة مرثد

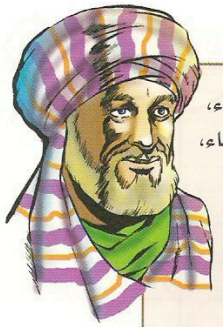

## قصة تحوله من الغناء

يقول الإمام مالك: نشأت وأنا غلام، فأعجبني الأخذ عن المغنين، فلما رأتني أمي مهتماً بقضايا الغناء، وشعرت أن القدوة التي أقتدي بها بدأت تتجه في غير الطريق السوي، أرادت أن تصرفني عن هذا الغناء، فقالت: يا بني، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يُلتَفَتْ إلى غنائه! فدع الغناء واطلب الفقه..

يقول مالك: فتركتُ المغنين وتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي ما ترى..

إن مالكاً لم يكن قبيح الوجه، ولم تقل له أمه: أنت قبيح، وإنما أرادت صرفه بهذا الأسلوب، فظن أنه المقصود لصغر سنه..

يقول مالك: ثم جاءت بعد فترة لي بملابس العلماء، فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت لي القلنسوة الطويلة على رأسي، ووضعت فوقها العمامة، فأخذتني وقالت: اذهب الآن، ثم اختارت لي أحد العلماء..

فلننظر إلى توجيه هذه الأم الفاضلة.. وإلى الكلمة التي قالتها لابنها حين وجهته إلى العلم واختارت له العالِم الذي يأخذ منه.. إنها لكلمة جديرة بأن تكتب بماء الذهب لتكون نبراساً للأمهات والآباء في توجيه أبنائهم..

قالت له: اذهب إلى ربيعة، فتعلَّم من أدبه قبل علمه، إنها لكلمة عظيمة.. وإنها لأم عظيمة هذه التي صنعت بتوجيهها وتربيتها السليمة الصحيحة رجلاً صنع أمةً..

## دور المرأة المسلمة

وهكذا شأن المرأة المسلمة إذا عرفت دورها في الحياة، ومهمتها العظيمة في صناعة رجال المستقبل..

إن توجيه الأولاد وتأديبهم واختيار الطريق السوي لهم هو الدور والمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق الأم..

"تعلَّم من أدبه قبل علمه".. فتعلم الأدب والأخلاق والمعاملة هو من الأهمية بمكان، بل ربما يكون أهم من تعلم العلم نفسه، لأن العالِم إذا كان فظاً غليظاً لا يُستفاد من علمه، بل ينفر الناس منه، بينما العالِم كريم الخُلُق يشجع الناس على العلم، وتكون بشاشته أثناء إعطائه العلم سبباً في إقبال الناس عليه، والاستفادة منه..

هكذا يقدَّم العلم بلين، ورفق، فيحبب العلم للناس، لا يقدَّم بخشونة وغلظة..

وهكذا كان ربيعة الرأي.. كان من أصحاب الأدب الرفيع..

مما جعل أم الإمام مالك توجه ابنها أول ما توجهه إلى التلقي عن هذا العالِم الجليل، ليأخذ من أدبه ويكون قدوة له في ذلك، ثم يأخذ من علمه..

وهكذا يتوجه الطفل مالك بثياب العلم التي ألبسته إياها أمه إلى حلقة ربيعة الرأي، ليبتدئ بذلك في هذه المسيرة الطويلة التي استمرت أكثر من ثمانين عاماً.. مسيرة العلم، حتى صار إماماً فذاً من أئمة المسلمين..

فأي هدية أهدتها هذه الأم العاقلة، إلى الأمة الإسلامية؟!

أي فكر عظيم تجلَّى في فهم هذه الأم للتربية؟!

حيث وجهته إلى القدوة الحسنة..

وشجعته بأسلوب لطيف..

وصرفته عن الغناء..

مدونة مرثد marthad.wordpress.com

## مالك الزاهد

### فلسفة الزهد

قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الأعراف: من الآية 32)..

وقال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا)(الأعراف: من الآية 31)..

وقال ﷺ: "كلوا واشربوا، والبسوا وتصدقوا، من غير مخيلة ولا سَرَف، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده".. (أحمد، وأخرج نحوه النسائي، وابن ماجه)، وهذا المبدأ يؤيده كل ذي عقل أو فكر، وكل حكيم أو مصلح، ويتفق مع الواقع والفطرة، ويراعي مشاعر الناس، ويحقق المصالح الكاملة في الحياة والمجتمع، ويدفع عن صاحبه كل مضرة أو مفسدة..

وقال تعالى أيضاً: (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى)(النساء: من الآية 77)..

وقال تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) (النحل: من الآية 96)..

وقال تعالى: (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) (طه: من الآية 131)..

وقال النبي ﷺ: "مَنْ أصبح وهمُّه الدنيا، شتت الله عليه أمره، وفرَّق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومَنْ أصبح وهمّه الآخرة، جمع الله له همه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة".ومن خلال هذه الآيات والأحاديث اختلف الأئمة في فهم وتطبيق الزهد، فمنهم من يميل إلى الملابس الزهيدة الثمن، بل الظاهرة الفقر والرقع أحياناً، وهذا هو الغالب، ونرى الإمام مالك يلبس ملابس فخمة جداً..

ونجد بعضهم لا يجد ما يأكل، والإمام مالك يأكل اللحم كل يوم، ويحب الفاكهة والموز، والإمام الثوري ربما حمل في سفرته اللحم المشوي والفالوذج (نوع من الحلوى)..

ونرى من ينام على حصير، ومنهم من ينام على أسرة وثيرة (ناعمة).

هذا الاختلاف بين الأئمة يدل على سماحة هذا الدين، وعظمة هذا الدين، فكل إنسان له طبيعة، وما دامت تحدنا حدود الحلال والحرام، تقيدنا بشريعة رب العالمين، تبقى دائرة الحلال واسعة..

فمنهم من يتشدد على نفسه، ومنهم من يخفف، لكل كلهم يجتمعون على الحرص على العلم، وعلى تقوى الله رب العالمين..

مدونة مرثد marthad.wordpress.com

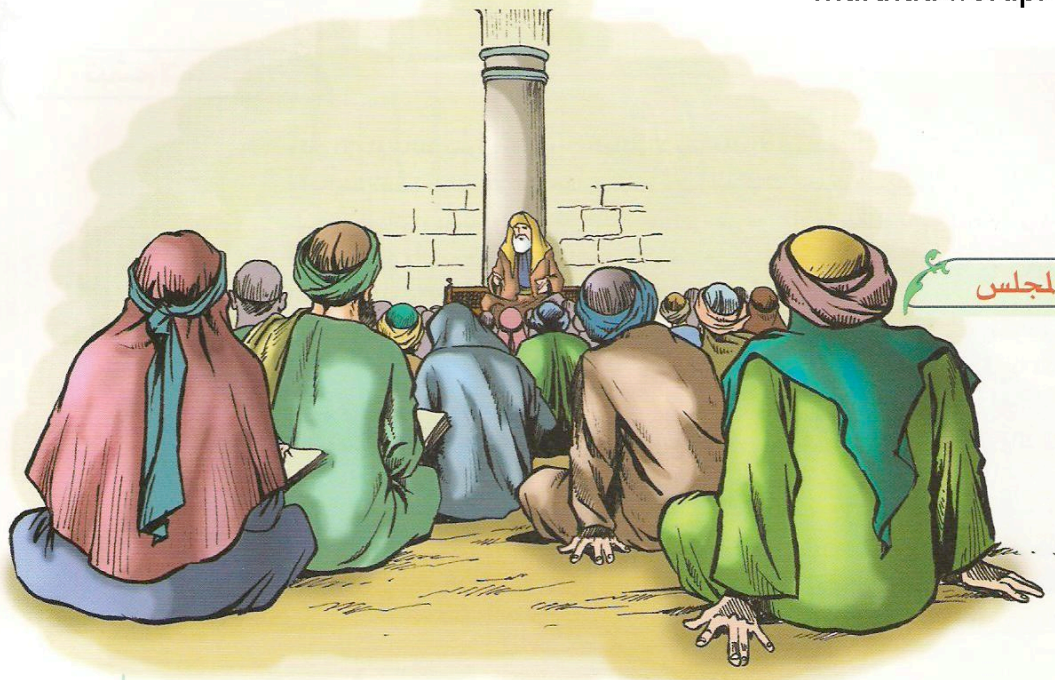

## وقار المجلس

التزم الإمام مالك في درسه الوقار والسكينة، والابتعاد عن لغو القول وما لا يحسن بمثله، وكان يرى ذلك لازماً لطالب العلم..

يروى أنه نصح بعض أولاد أخيه فقال له: «تعلّم لذلك العلم الذي علمته، السكينة والحلم والوقار»..

وكان يقول: «حقٌّ على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى، وينبغي لأهل العلم أن يُخلوا أنفسهم من المزاح، وبخاصة إذا ذكروا العلم»..

هكذا كان مجلس مالك، مجلسٌ تحيط به المهابة والسكينة والوقار، وهكذا كان إجلاله للحديث النبوي الشريف..

يصف من شهد هذا المجلس فيقول: كان مجلسه مجلس وقار وعلم، وكان رجلاً مهيباً، ليس في مجلسه من المراء ولا اللغط، ولا رفع صوت، وإذا سُئل عن شيء فأجاب سائله، لم يقول له: من أين هذا؟ (ما دليلك)..

فهم يعرفون علم الإمام مالك، ومرجعيته وتمكنه في الحديث، فلا يناقشونه بل يكتبون فتواه بلا جدال.

ومجلس الإمام مالك يختلف تماماً عن مجلس الإمام أبي حنيفة، الذي كان يطول فيه الحوار والنقاش والجدال إلى أن يصلوا إلى نتيجة..

أما مجلس الإمام مالك فما كان يتكلم فيه سوى الإمام مالك، ولا حوار أو نقاش، بل سؤال مختصر وجواب مختصر..

مجلس الإمام مالك مجلس علم ووقار، لا أحد يرفع صوته فيه، ولا يجادلونه في فتواه لعلمه وتمكنه.

marthad.wordpress.com مدونة مرثد

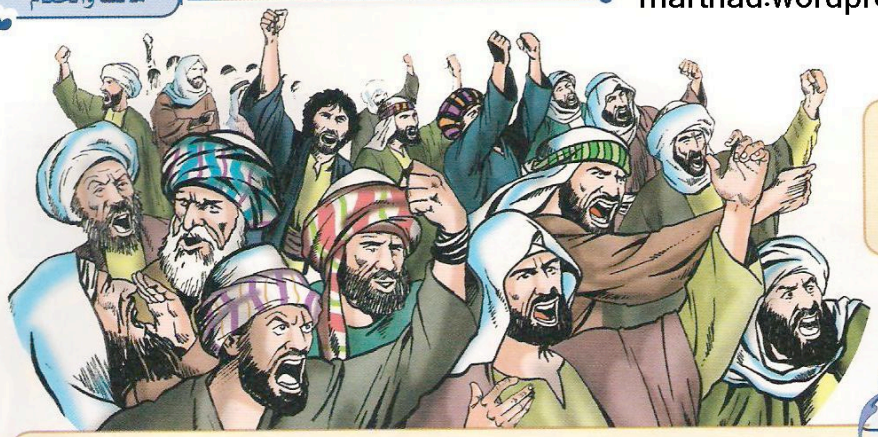

ثبات الإمام مالك أجبر الخليفة على التراجع لالتفاف الناس حول العالم.

## ضرب الإمام وإيذاؤه

وبناءً على هذا أمرَ جعفر بن سليمان والي المدينة أن يؤذى الإمام مالك، ليرجع عن آرائه الخطيرة على الحكم، فأخذ وضُرب بالسياط، وجروه من يده حتى خُلعت كتفه، ليرجع عن فتواه فلم يرجع..

واشتعلت المدينة غضباً أن يُضرَب هذا العالم الجليل، والإمام الكبير على فتوى فقهية أجاب عليها..

وبدأ الغليان في المدينة، وكادت المدينة كلها تثور..

ووصلت الأخبار إلى أبي جعفر المنصور، فشعر أنه لا بدَّ أن يتصرف، فأمر بعزل الوالي وإهانته، وأن يؤتى به إلى دار الخلافة محمولاً على الخشب، وأعلن هذا أمام الناس، وأمر بإكرام الإمام مالك، وأن يؤتى به مكرماً إلى دار الخلافة فاعتذر الإمام مالك وقال: لا أخرج من المدينة.

## الخليفة يسترضي الإمام

ولم يخرج الإمام مالك في كل حياته من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (إلا إلى الحج أو العمرة)، فعندها عزم أبو جعفر المنصور أن يأتيه، واستغل فترة الحج، ومن الحج ذهب إلى المدينة، وزار الإمام مالكاً وأكرمه إكراماً عظيماً، وظلَّ يسترضيه إلى أن رضي وعفا عما حدث له..

## الإمام مسؤول عن الرقابة على ولاة الحجاز

كانت المدينة ستشتعل لولا أن أبا جعفر المنصور بذكائه السياسي استدرك الأمر، وعلم أن إهانة العلماء ستأتي بمردود عكسي عليه، فعرف كيف يعامل هؤلاء الكبار، وأصدر تعميماً على كل الحجاز، وأرسل رسالةً إلى الإمام مالك يقول فيها: إن رأيت ريبة من عامل المدينة، أو عامل مكة، أو أحد عمال الحجاز في ذاتك، أو في ذات غيرك، أو سوء السيرة في الرعية، فاكتُب إليَّ في ذلك أُنزل بهم ما يستحقون، وأكتب إلى عمالي أن يسمعوا إليك ويطيعوك في كل ما تعهد إليهم، فانههم عن المنكر وأمرهم بالمعروف تؤجر على ذلك، وأنت خليقٌ أن تُطاع ويُسمع منك.

اعتذر أبو جعفر المنصور من الإمام مالك، واسترضاه، وأمرَ عماله بطاعته، وطلب من الإمام مراقبتهم.

# الدروس والعبر من السيرة الكاملة لحياة الإمام ومسيرته العلمية

marthad.wordpress.com مدونة مرثد

## هذا الكتاب

- يعرّفك بشخصية فذة فريدة كان لها أثرها في التاريخ والفقه الإسلامي وهو الإمام (مالك) ويبين لك بالتفصيل كل جانب من جوانب حياته الشخصية والعامة.
- المؤلف لم يتبع الطريقة التقليدية في سرد الترجمة والتعريف إنما حلل الأحداث واستخرج العبر من كل حادثة ليخرج القارئ بفائدة علمية وإيمانية من قراءة الكتاب.
- الكتاب مدعم بالكثير من الرسومات المحترفة والمبدعة لتلك الحقبة الزمنية وأشهر شخصياتها وهي مستوحاة من الأوصاف الدقيقة التي نقلها المؤرخون.
- كما وضعت عبارات ملخصة لكل فقرة تعين القارئ على سرعة الحصول على المعلومات وتثبيتها، وإن كانت لاتغني عن قراءة الكتاب كاملاً.
- لم يكن المقصود من تعريفنا بسيرة الإمام مالك مجرد السرد التاريخي لكننا أردنا أن نستنهض الهمم ونحيي العلاقة بيننا وبين تراثنا الإسلامي وشخصياته العظيمة مع تفهمنا لتغير الأدوات والوسائل بتغير العصور والأزمان

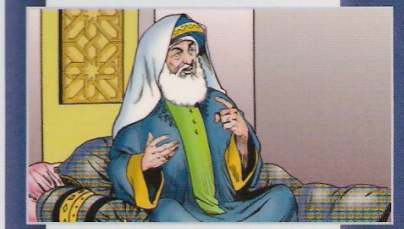

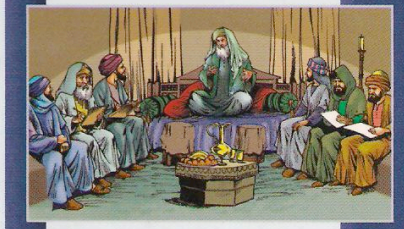

TIHAMA
ALEMAM MALEK
تهامة
30303586 SR-35.00

9 789990 661989